ISSN: 2253-0347
مجلـة علوم الإنسان والمجتمع
Journal of Human and Society Sciences
EISSN: 2602-781X
المجلد: 13 / العدد: 02 / السنة: 2024/ ص ص: 326- 346

حاجة العباد إلى الاقتصاد والاتحاد
وثيقة أنموذج عن ارهاصات الوعي لدى الجزائريين في بداية القرن العشرين

The people's need for economy and unity
A document on the precursors of awareness among Algerians at the beginning of the 20th century

تاريخ الإرسال: 2024/02/23 تاريخ القبول: 2024/05/28 تاريخ النشر: 2024/06/24

العربي بلعزوز[1]
[1]جامعة الشلف، الجزائر ، EMAIL: l.belazzouz@univ-chlef.dz

الملخص:

تستند هذه الدّراسة على مخطوط يعود لبداية سنة 1912م، صاحبه ذا اطّلاع واسع بالوضع البائس والمتهالك للشعب الجزائري حينذاك. بالإضافة إلى تشخيص الأوضاع عمل على اقتراح الحلول والمخارج لتجاوز تلك الأحوال؛ اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ودينيا. لقد احتوت الوثيقة على معطيات ثمينة تخصّ المجتمع الجزائري في الفترة المشار اليها، وهي هذه المرّة بقلم مثقّف جزائري غيور دينه ولغته، وبالإضافة إلى ذلك فقد أبان عن علوّ كعبه في زمانه وعن غزارة معارفه وكثرة اطّلاعه بما تناوله من مواضيع وما اقترحه من حلول، وبما استدلّ به من شواهد مختلفة. إنّ محتوى المخطوط موضوع الدّراسة يجسّد بداية الوعي لدى الجزائريين، والذي سميناه بالوعي بالمجتمع المحلّي الذي سبق للوعي بالوطن ومهّد له، ومن هنا تستمدّ الوثيقة قيمتها التّاريخية وأهميتها العلمية.

الكلمات المفتاحية: الوعي بالمجتمع؛ طيباوي محمد بن طيبة؛ المخطوط؛ الإصلاح؛ الجزائر بداية القرن العشرين.

المؤلف المرسل: العربي بلعزوز، **الإيميل:** l.belazzouz@univ-chlef.dz

Abstract:

This study is based on a manuscript dating from the beginning of the year 1912. The author of the document revealed the miserable and dilapidated situation of Algerian society and proposed economic, social, cultural and religious solutions. We see that this manuscript embodies the beginning of the awareness of some Algerians, which we have called (the awareness of society), which preceded and opened the way to the awareness of the homeland, and from there the document derives its value and importance.

Keywords: community awareness, manuscript, reform, Tibaoui Mohamed ben Tiba, Algeria in the beginning of the twentieth century.

1. مقدمة:

يعلم المتخصّص والهاوي معا عن ذلك الكم الهائل من الكتابات الفرنسية من تقارير، وكتب ومقالات، وغيرها، التي تناولت الفترة الاستعمارية في الجزائر وحتى الحقبة التي سبقتها وفي مواضيع شتّى. ويدري المتخصّص أيضا بأنّ تلك الكتابات جاءت في الغالب بصيغة استعمارية صرفه، لخدمة غرض معيّن... كما أن الشائع لدى المتخصّصين أيضا هو أن الكتابات الأكاديمية الاستعمارية كذلك وردت بنظرة مجانبة للحقيقة في الغالب فيما تعلّق بالجزائر والمجتمع المحلّي.

ومن هذا المنطلق، فإن ما كتبه الفرنسيون، وغيرهم من الأوربيين، عن الجزائر والمجتمع الجزائري عشية الحرب العالمية الأولى وفير وغزير، لكن يبقى يخضع للمنطق الاستعماري المشار إليه. ومن هذه المنطلق جاء هذا البحث الذي يتناول أوضاع الجزائر سنة 1912م من منظور محلّي صرف، وذلك بالاعتماد على مخطوط من 23 صفحة، تضمّن تشخيص معضلات المجتمع الجزائري وأيضا وصف مختلف الحلول والمخارج لتجاوز ذلك وفي مجالات شتّى، وورد ذلك بأسلوب ومضمون ينمّان عن دراية الكاتب وخبرته وغزارة علمه،

وهذا ما يقودنا إلى تلمّس المستوى الرّاقي الذي وصل إليه بعض الجزائريين خلال الحقبة المعنية، وسط ذلك الفساد والجمود والتقهقر والتأخر. هذا الوضع المُؤسف، لاحظته وأدركته نخب البلاد حينذاك على قلّتها، ولذلك نجدها حتى قبل تلك الفترة بقليل، تسعى من خلال النوادي والجمعيات إلى تدارك الوضع وتغيير مسار المجتمع الذي أفسده ليل الاستعمار الطويل.

ترمي هذه الدراسة إلى الإجابة على اشكاليتين هما: إلى أي مدى تمكّن المحتل الفرنسي من تضليل العقول النيّرة عبر تزوير الحقائق والتّاريخ؟ وهل أفلح المحتلّ في دفع كل النّخب إلى التنصُّل عن جذورها التاريخية والدينية واللغوية والاجتماعية؟ زواجنا لإنجاز هذه الدراسة بين المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي وبين بعض أُسس تحقيق المخطوطات. نأمل أن يتناول أحد المحقّقين دراسة هذه الوثيقة دراسة وافية مستوفية لكل الشروط للاستفادة منها أكثر.

ولعلّ الأمر الذي يُضفي قيمة خاصة لهذه الوثيقة التي بين أيدينا (المخطوط) هو كونه يصلُح في زمننا هذا في الكثير ممّا تضمّنه رغم انقضاء ما ينيف عن تسعة عقود من الزّمن، خاصة فيما تعلّق بالشقّ المتعلّق بالحلول والمخارج المقترحة. وهذا ما يضيف للوثيقة قيمة أخرى، وفي ذات الوقت تشير الوثيقة ضمنيا إلى أن المجتمع الجزائري خلال الفترة المعنية بالدراسة كان يئنّ من وطأة السياسات الاستعمارية الظالمة، وفي ذات الوقت يفطننا بأنّ افرازات تلك السياسات الاستعمارية المختلفة لا تزال قابعة وقائمة بين ثنايا المجتمع الجزائري حتى بعد مضي 62 سنة عن الاستقلال. وأنا بهذا لا أرغب البتّة في التأثير على القارئ، بل أتركه يتلمّس ذلك بنفسه من خلال ثنايا هذا البحث المتواضع.

ولعلّ أهمية هذه الوثيقة تكمن بالإضافة على ما سبق في:

- كونها بقلم مثقّف جزائري، زاوج بين الثقافتين العربية الإسلامية والفرنسية بحكم كونه يشتغل بالقضاء؛
- كونها تمسّ مرحلة مفصلية في تاريخ الجزائر؛ تلك التي سبقت بزوغ الوعي الوطني لدى الجزائريين مباشرة، والتي أسميناها كما سيرد، بمرحلة الوعي بالمجتمع المحلّي.

- كونها، على خلاف ما عهدناه، شخّصت الدّاء ووصفت المخارج والدّواء، في حدود ما كان متاح للمثقّف حينذاك من إدراك ووعي، في ظل سيطرة استعمارية شاملة على البرامج التعليمية والكتابات الصحفية، وعلى كل ما يمتُّ بصلة من قريب أو بعيد إلى كون الجزائر كيان جغرافي وبشري وثقافي يختلف ويتباين عن الكيان الفرنسي.
- كونها وردت بلغة عربية راقية، وبمنهجية علمية رصينة، علاوة على احتوائها على دعائم الاقناع بالحجّة والأدلّة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومن أقوال مأثورة لبعض صحابة رسول الله، بالإضافة إلى شخصيات كان لها صيت كبير فيما اختصّت به، كأفلاطون، وأبو الطيب المتنبّي، ولقمان الحكيم علاوة على أبو الليث السمرقندي في علم الحديث ومحمد فهمي في علم الاقتصاد.

سنكتفي في هذه الدراسة إلى ما خلص إليه صاحب الرسالة من نتائج بخصوص أهم المسائل التي تطرّق إليها والتي شملت الحلول المقترحة لتجاوز الظروف الرّاهنة وقتذاك الاجتماعية والاقتصادية بالتحديد، متجاوزين النظريات والرؤى العامة في شتى الأمور التي استفاض في الكلام عنها، وكلّنا أمل أن يقو م أحد الباحثين المحقّقين للمخطوطات بدراسة هذه الوثيقة بشكل يستوفي كل شروط التحقيق.

من هذا المنطلق، لا يراد لهذه الدراسة أن تكون تحقيقا لمخطوط؛ فالتّحقيق أهله وأناسه، بل هي دراسة تاريخية لما ورد في الرسالة (المخطوط)، ننشد من خلالها إلى استخلاص ما يمكن استخلاصه من معطيات تاريخية ذات قيمة تضيف إلى ما هو معلوم مساهمة منّا في كشف بعض الحقائق التاريخية وتنوير الباحث والقارئ الجزائري وغيره.
لكن هذا لا يمنعنا من ادراج بعض المعطيات العامة عن الوثيقة:

2 . التعريف بالمخطوط:

1.2 . عنوان المخطوط: حاجة العباد إلى الاقتصاد والاتّحاد (طيبة 1912).

2.2 . التعريف بصاحب المخطوط: هو طيباوي محمد بن طيبة بن أحمد بن محمد الملياني[1]؛ كان والده أحمد بن محمد طيباوي بن طيبة قاضيا على منطقة (بوغاري)

بالمدية سنة 1916 (خلال الحرب العالمية الأولى)، حيث نشرت له جريدة (ليكو دالجي) إعلان عن حكم باللغتين العربية والفرنسية بعدد 2 فبراير 1916.

أمّا محمد طيباوي بن طيبة (صاحب الوثيقة) فكان قاضيا أيضا على منطقة (تابلاط) بالمدية، قُلّد وسام الشرف برتبة ضابط من قبل وزير العدل الفرنسي ,Inconnu) (1927، رُقي بعد فترة من ذلك إلى الدرجة الثانية من وسام الشرف وفق جريدة (صدى الجزائر) [2]، ذات العدد الذي كشف بأنّ والده (أحمد) كان متحصلا أيضا على وسام الشرف. ولم تشر المصادر، رغم الالحاح في البحث، عن الوظيفة التي كان يشغلها صاحب المخطوط زمن كتابته لهذه الوثيقة (1912).

توفي محمد طيباوي بن طيبة بمليانة بتاريخ 1930/03/5، وقدّمت جريدة (ليكو دالجي)، العزاء لأهله ولأصدقائه باسمها وباسم الفرنسيين و"الأهالي"(Inconnu, 1930) .

3.2 . التعريف بنسخة المخطوط: ورد المخطوط في 23 صفحة، وفي كل صفحة عشرون سطرا. نسخ داخل إطار بخط مغربي مبسوط بحبر جمع بين اللّون الأسود والأحمر والأخضر والأصفر والبنّي.

4.2 . ناسخ المخطوط: هو علي بن أحمد بن بختاش العجيلي(الملحق رقم 2) وذلك في سنة 1338 هـ الموافق ل سنة 1920 للميلاد، مع الإشارة إلى أن ذات النّاسخ أشار فيما كتب إلى أن تاريخ النّص تمّ بتاريخ 05 ربيع الأول 1330 هـ الموافق ل 23 فبراير 1912 أي قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى بما يزيد بقليل عن السّنتين.

3. مضمون الوثيقة:

استهلت الوثيقة بالبسملة ثم الحمدلة وتلتهما التصلية مع غياب الدّعاء في بداية الوثيقة (ص1) وفي نهايتها (ص 23) أما موضوعها فتشعّب ليشمل عدّة مسائل: اجتماعية واقتصادية وتربوية؛ وأعني بذلك أنّ صاحب الوثيقة عاين أوضاع المجتمع الجزائري الاقتصادية بكل فروعها: كالفلاحة والصناعة والتجارة، ووضع لها حلولا ومخارج وفق نظرته. كما تحدّث عن المسائل الأخلاقية التي كانت تُفسد المجتمع الجزائري وتدفع به إلى الفقر والكسل والتسوّل ... ووصف أيضا حلولا لتلك الأوضاع. أمّا عن التربية والتعليم؛ فبعد معاينته لانتشار الجهل وسط الجزائريين، وتردّي الأخلاق وتراجعها وانتشار البدع

والخرافات، تحدّث عن ضرورة التهافت على العلم والاهتمام بالنشأ عبر االمزاوجة بين تعليمهم للغة العربية الحاملة للقيّم الإسلامية الصحيحة، دون اغفال اللغة الفرنسية التي رأى بأنّها تحمل عوامل التطوّر والمعرفة والتمدُّن حسب رأيه.

الوثيقة موجودة في أرشيف ما وراء البحار بمدينة آكس أون بروفانس بمرسيليا الفرنسية في ملف (10 H/98). وفي حالة جيّدة.

وردت الوثيقة في قالب علمي أكاديمي صرف؛ حيث جاءت من حيث الشكل بمنهجية علمية راقية. أما المضمون فتضمّن معطيات دقيقة تنمّ عن دراية وغزارة معارف صاحب الوثيقة، علاوة على أنّ طيباوي محمد بن طيبة استدلّ ب 46 آية قرآنية، وب 26 حديثا نبويا، وبأقوال مأثورة لجملة من الصحابة كعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن ابي سفيان.

كما استدلّ أيضا بعالم الحديث (أبو الليث السمرقندي)، وبعالم الاقتصاد (محمد فهمي)، وأيضا بأفلاطون وابن خلدون، ولقمان الحكيم وأبو الطيب المتنبي، وهو ما ينمّ عن علوّ كعب صاحب الوثيقة دينيا وثقافيا وعلميا.

شملت الصفحة الأولى من المخطوط دواعي كتابته لهذا النصّ الطويل، حيث شخّص تلك الأسباب وهو يعرض حال السواد الأعظم من مسلمي الجزائر وشمل ذلك العرض قوله: " السواد الأعظم من مسلمي الجزائر باتوا في فساد الرأي وضياع الحزم، ويتخبّطون في هاوية التقهقر، ويتقلّبون على فراش التأخر". ويضيف: "لا همّ لهم سوى القعود ولا لذّة لهم إلاّ الجمود، الترقي (الرُّقي) عدوّهم والانحطاط حليفهم، حرفتهم التوكّل بلا عمل، وشيمتهم الجهل مع فقدان الأمل، غافلين عمّا جاء في الدين من الحثّ على العلم والعمل، ضالين عن منهج الأوائل، ذلك المنهج المستقيم" (طيبة، 1912).

بعد ذكره لهذا الوضع المأسوي الذي هو من افرازات السياسات الاستعمارية المختلفة والمقصودة التي استهدفت كل قيّم المجتمع الجزائري، انتقل إلى كتابة هذا النّص، الذي سمّاه "بالرّسالة" والتي عنونها بالعنوان السابق ذكره: "حاجة العباد إلى الاقتصاد والاتّحاد"، وهي عبارة عن جمع لمعطيات من الواقع قصد تحريك شعور

الجزائريين، ثم السّعي إلى تقويم شأنهم؛ وارشادهم إلى ما يعيد صلاحهم؛ وهو ما يعني أن الإصلاح كان حاصل بالفعل أو موجود خلال تلك الفترة، لكن بشكل مختلف عمّا ستعرفه الجزائر مع بداية ثلاثينيات القرن العشرين.

" ثم انتهى إلى الغاية من الرسالة حيث قال: "وذلك علّهم يقلعون عمّا ألفوه من العادات المكسدة والأخلاق المفسدة" (طيبة، 1912).

وذكر صاحب النص في سياق حديثه ظواهر سلبية أخرى مثل:

- كثرة الفاقة والفقر.
- استفحال ظاهرة التسوّل، واللصوصية.
- الكسل وعدم اتقان الأعمال.
- الايمان باعتقادات واهية "عزوها إلى الدين والدين بريء منها، هي هادمة للنظام الاجتماعي منافية للجد في العمل "فقيرهم سائل بتكفُّف الناس، وغنيّهم كسلان يتثاوب ويتململ" (طيبة، 1912).

ثم يتأسف في نهاية الصفحة الأولى ويعتذر إن هو أكثر من العثرات، معترفا بعجزه عن إلقاء مثل هذه الارشادات لأنّه ليس من أهل الاختصاص؛ "والحقُّ أقول، لست بأهل الانتساب إليه"، ويبرّر ذلك برغبته في "خدمة الوطن ومحبّة في أهله"؛ وألفت انتباه القارئ إلى أنّ كلمة (الوطن) هو من استعملها في الوثيقة ...

ليس الهدف هو الوقوف على كل المعطيات العلمية والعروض العامّة التي تفضّل بها صاحب الرسالة، وإنّما أكتفي فحسب بالتركيز على التشخيص الذي تفضّل به بشأن أوضاع الجزائريين، وكذا الحلول التي رآها لذلك.

إنّ الصفحات الأولى والثانية والثالثة شملت التركيز على وجوب الاتحاد، بعيدا عن المفهوم السياسي للكلمة، وإنّما الاتحاد لتحقيق المنافع وتأدية الحاجات المادية، ومع ذلك تلمّسنا فيها وعي بالجماعة وفي إلحاحه على ضرورة تكتّل الجزائريين فيما بينهم لتحقيق مختلف المنافع؛ وممّا جاء في هذا السياق:

EISSN: 2602-781X———ISSN: 2253-0347

لقد خلق الانسان ضعيفا، ولتجاوز هذا الوضع يتعيّن على الفرد الجزائري الالتزام بثلاث فروع:

- حماية النّفس من الحيوانات الضارية بالاستعانة بأبناء جنسه؛
- المحافظة على استبقاء النّسل باجتماع الذّكر بالأنثى؛
- بقاء الانسان مرهون ببقاء الكل، ولذلك أوصى صاحب الوثيقة بتكفّل كل واحد من المجموعة بعمل يعود على الجميع بالنفع لضمان البقاء والنّماء.

وما يلاحظ من خلال ما سبق ذكره هو سعي الكاتب إلى تحقيق الاتحاد (اللُحمة) بالارتكاز على عوامل بيولوجية. ثم يستطرد في طرحه إلى حصر وسائل ذلك التواصل بين أفراد المجتمع الواحد، حيث قال (طيبة، 1912):

- يتمُّ ذلك باستعمال اللّسان للتفاهم؛
- واستعمال اليد لتعاطي الأعمال؛
- واستعمال العقل لتدبير الأمور بالسّعي لطلب العلم والمعرفة.

ثمّ تكلّم عن حاجات الانسان المادية، والتي حصرها في ثلاث' أقسام:

- الضرورية كالقوت؛
- ذات الاحتياج كاللّباس؛
- والكمالية كالمسكن.

ثم عرّج على الصنايع (كذا) والتي حصرها في ثلاث أيضا:

- الفلاحة التي لا قوام للدنيا إلاّ بها للمطعم؛
- والحياكة للملبس؛
- والبناء للسّكن.

مع اشارته، انطلاقا ممّا سبق ذكره، إلى أنّ جميع مواد حاجته المعاشية (المعادن، الحيوان، والنبات) موجودة في الأرض، وما عليه إلاّ السّعي لتحقيقها أو توفيرها.

EISSN: 2602-781X————ISSN: 2253-0347

"بالنشاط تتحقّق المنفعة، ويتجسّد الاتحاد ومن ثمّ تشتدُّ الشوكة ويُحترم الجانب. بالمناصرة والتميُّز عن الغير باللغة والعادات لتحقيق القوّة لصدّ الأعداء والحفاظ على الأنفس والأموال...".

ولم يسمّ الأعداء ولم يشر إليهم، بل ترك الأمر للتخمين. وسنرى فيما سيأتي بأنّ الأعداء ليسوا "بالفرنسيس"؛ لأنّه مدحهم في أكثر من موقع كما سيرد.

بعد حديثه عمّا سلف، وغير ذلك الكثير، انتقل إلى الحديث عن الحاجة إلى العلم الصّناعي تحت بنط عريض. وتمثّلت خلاصة هذا العنوان في الآتي:

"إنّ نجاح الأعمال كلّها موقوف على ثلاث: الاتحاد والعلم والجدّ؛ فكلما اجتمعت هذه الثلاث في أمّة من الأمم إلاّ وبلغتها الغاية القصوى في التقدّم والمجد، ومتى فقدتها أمّة إلاّ وانحطّت في درجة التأخّر والخذلان ... ولذا نرى الأوربيين حائزين للسبق بما أحرزوه من الاتحاد والعلم والجدّ. ونرى المسلمين خصوصا الجزائريين في هانة من التأخر الذي أصابهم بما فقدوه من الاتحاد والعلم والجد، ومع هذا لم يخرقوا أحجاب جهالاتهم ولم يستفيقوا إلى الآن من سباتهم. والغريب أنّه إذا أرشدهم مرشد قالوا: لا فائدة في السّعي، إنّ الدنيا هي من أقعدتنا وأنّ الساعة أوشكت أن تقوم...! والغريب أنّ هؤلاء الجزائريين اتّخذوا القرآن للتبرُّك فقط لا للتدبّر... إنّ القلوب عليلة والبصائر مدخولة وإني أُحذّرهم" (طيبة، 1912).

إنّ هذا المستوى من القلق والجزع على واقع ومستقبل الجزائريين معا، يجعلنا نتبنّى ما تفضّل به شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله حينما قال: " لم يكن القضاة، في أغلب الأحيان، في وضع يحسدون عليه، ولم تكن مشكلتهم مشكلة خبز فقط، مثل بعض الموظفين الآخرين، ولكنّها مشكلة مبدأ ورسالة أيضا" (أبوالقاسم، 1988)، خاصة إذا علمنا بأنّ طيباوي محمد بن طيبة سمّى ما كتبه "بالرّسالة".

1.3 . الحث على العمل:

تطرّ ق صاحب الوثيقة في هذا العنوان إلى تقديم نقد لاذع لظاهرة الكسل والعجز واعتبرهما من العار الذي يضفي إلى الدّمار؛ " فكيف يكسل المسلم ودينه يأمره

بالعمل..."، وأورد صاحب الوثيقة ضمن هذا العنوان أيضا توضيح لأهمية العمل والتمدّن وتوفير الحوائج، وخلص إلى ما يلي:

" إنّ النّاس متى استقاموا على الجادة التي سطّرتها لهم سُنّة الكون وأقامهم عليها خالقهم على سُنّة أنبيائه، ومتى نفضوا أيديهم من حبل الخرافات والاعتقادات الزائفة فاضت عليهم الخيرات واخضرّت لهم اليابسات ...".

قبل المواصلة في الحديث عن بقية ما احتوته هذه الرسالة وجب التريُث والتوقّف لبرهة من الزّمن لنشير إلى أن الكاتب لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى المحتل الفرنسي، معتقدا ربّما أن لا علاقة له بما هو حاصل على كل الأصعدة وفي جميع المجالات. وقد يفسّر ذلك بكون القاضي موظّف رسمي مُعيّن بقرار حكومي، أو لكونه خاضعا لجهاز الرّقابة والتحقيق (أبوالقاسم، 1988).

أم أنّ الإدارة الاستعمارية كانت إلى هذه الدّرجة، خلال الفترة المعنية بالدّراسة، متمكّنة من إخفاء الأسباب وتمويه الحقائق. أم ربّما يُعزى ذلك إلى أن المستعمر نجح إلى حد بعيد، خاصة لدى النخبة، في اشباعهم بالخطاب الاستعماري الذي يقول بالرسالة الحضارية التي يحملها الفرنسيون إلى الجزائريين، وأن الجزائريون هم من يعزف عن الاغتراف من ذلك السّراب.

مهما كان من أمر، فإنّ ما هو بيّن وواضح من خلال هذه الرسالة هو أن المستعمر تمكّن فعلا من تضليل العقول، وتمويه الحقائق وتزييفها، ولم يكن من السّهل حتى على أصحاب العقول النيّرة إدراك ذلك. وهو ما سيتطلّب تجارب أخرى ستوفّرها أحداث الحرب العالمية الأولى وما تلاها في الجزائر وخارجها.

2.3 . الحاجة إلى الاتقان:

انتقل صاحب الوثيقة بعد ذلك إلى الحديث عن ضرورة اتقان الأعمال؛ "فالزراعة ليست بأقلّ احتياجا إلى الاتقان من الصناعة، بل احتياج الفلاح إلى اتقان الفلاحة أقوى من احتياج الصّانع إليه ... لأنّه إن أهمل ذلك يخسر عمله وربّما يخسر شيئا من رأسماله.

بالابتعاد عن المعطيات الاقتصادية العامة، وكذا عن تحليل صاحب النّص لمختلف الذهنيات والعقليات المعتمدة في معاشها على مختلف المهن، سنقف فحسب عند ما قاله عن الجزائر ضمن هذا السياق: " لقد وصلت أرضنا الجزائر إلى حد التناقص

EISSN: 2602-781X——ISSN: 2253-0347

لإنهاك قواها الطبيعية واستنزاف موادها الكيماوية (كذا) بكثرة الاجهاد، حتّى قلّت النسبة بين غلّتها وبين العمل ورأس المال المنفقين فيها". وهو بهذا القول يدفع بالفلاح الجزائري إلى الاقتداء بالمزارع الأوربي في استعماله لمختلف الأسمدة، حيث كتب: " إنّه يتأتّى للأوربيين أن يفتخروا باستلائهم على الحذاقة والمهارة في اتقان الصناعة والفلاحة باستنباطهم أحسن الوسائل لتحسين الأعمال كلّها، حتى بلغوا في تحسينها شوطا كبيرا ..." (طيبة، 1912).

وهو ما يعني أن صاحب الوثيقة التي بين أيدينا فاقد لجزء كبير من المعطيات ذات الصلة بالسياسة الاستعمارية القائمة على التهميش والتفقير والاستغلال؛ والتي منها مثلا: استيلاء المعمّرين على أخصب وأجود الأراضي الزراعية بالجزائر، وطرد "الأهالي" إلى الجبال والمناطق الوعرة ذات المردود القليل وندرة المياه إن لم توفّرها الطبيعة في فصل الأمطار. ومنها أيضا اثقال كاهل الفلاح الجزائري بالضرائب رغم قلّة مردود مساحاته المزروعة، وهو ما يعني استحالة استملاكه للآلات الفلاحية ...

3.3 . الحاجة إلى اختيار العمل:

وممّا قاله في هذا السياق: "... على المسلمين اختيار كل واحد من شبانهم عملا يليق به فيمسك عليه رغبة فيه، إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا، وألا ينظر بعضهم بعين السّخط لصنعته وبعين الرضى لصنعة غيره..." كما أوصى بعدم التهافت على ثلاث أو أربع صناعات لأنّ ذلك ينتهي إلى عدم اتقانها جميعا أو اهمالها كافة، وهو ما من شأنه أن يدمّر حالهم اليوم ومستقبلهم غدا (طيبة، 1912).

وممّا قاله عن الأوربيين في هذا الشأن: " الأوربيون يستعملون في الزراعة الطرق الحديثة التي قلّما يخسر متعاطيها، ويتخذون أسمدة لمقاومة ضعف الأرض عملا بما سند لهم علماء الكيمياء؛ لأنّ تلك الأسمدة تعيد إلى الأرض ما فقد منها من المواد المخصّبة..." إنّ هذه المعطيات وإن أكّدت سعة اطلاع صاحب الوثيقة بمختلف العلوم والاكتشافات، إلاّ أنّها في الوقت ذاته تثبت معرفته السّطحية لحقائق كثيرة ذات صلة بعمق وخبث السياسة الاقتصادية الاستعمارية.

4.3 . الحاجة إلى العلم الصّناعي:

أما في مجال الصناعة، فقد أوصى بن طيبة الجزائريين "بعدم التهافت على صنعة واحدة وإن كانت رابحة؛ لأن ذلك يُكثر معمولاتها (منتوجاتها) إلى حد يحصل فيه كسادها فتنحطّ أسعارها، حتى يكاد السّعر لا يفي أحيانا بما يُنفق عليها من العمل ورأس المال ... لكن للأسف فمن غير الممكن أن يهتدي المسلمون إلى ما فيه خيرهم لضعف أفكارهم واستسلامهم لما تسميها بالأقدار..." (طيبة، 1912).

وهنا وجب التنويه أيضا بغياب معطيات كثيرة عن ذهن صاحب النّص ذات صلة بسياسة التهميش والتجهيل التي كانت تمارسها الإدارة الاستعمارية، لتحقيق معادلتها المنشودة (السيّد والعبد)؛ التي تضمن الاستمرارية والسيطرة التي تضفي إلى تكريس تبعية الجزائر إلى فرنسا إلى الأبد، فإبقاء الأوربي "سيّد" والجزائري دون ذلك يضمن ديمومة الفكر الاستعماري على المدى البعيد.

5.3 . كلمة اجمالية في التجارة:

تطرّق صاحب الوثيقة بعد ذلك إلى التجارة وتضمّنت خلاصتها ما يلي:

"إن أنفع النصائح لمن يريد الاتّجار أن يتخلّق بخُلُق الأفاضل ويتباعد ما استطاع عن خلق الأراذل، وأن يعمل بما قال صلى الله عليه وسلّم: لا خير في التجارة إلاّ لستّة؛ تاجر إن باع لم يمدح، واشترى لم يذم، وإن كان عليه دين أيسر القضاء، وإن كان له أيسر الاقتضاء، وتجنّب الحلف والكذب، فيكون رابحا في الدنيا وناجيا في الآخرة، وإن لم يعمل بهذه الوصيّة فسوف يرى..." (طيبة، 1912).

يتضح جليا أن بن طيبة كان كثير الاهتمام بالسُّبل التي توفّر المعيشة للجزائريين، ومهتمّ أيضا وبشكل لافت بالأخلاقيات المصاحبة والضرورية لكل نشاط، كما يتّضح اغتياظه الكبير من تلك الفجوة الشاسعة بين الأوربيين والجزائريين في مختلف النشاطات الاقتصادية، ولذلك نراه يسعى إلى توضيح العلل والبحث عن الحلول لتجاوز ذلك الوضع، ونراه يلجأ إلى التهديد بسوء المصير إن هم استمروا على أحوالهم وممارساتهم تلك.

6.3 . الاقتصاد في المعيشة:

تحوّل صاحب الوثيقة بعد ذلك إلى الحديث عن الحاجة إلى الاقتصاد في المعيشة (في زمن شاع فيه الجوع والفاقة، وهو من أشار إلى ذلك في بداية ما كتب)، وأكّد في هذا

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ——— جامعة بسكرة، الجزائر
EISSN: 2602-781X——ISSN: 2253-0347

المجال على وجوب توفير جزء من المكسب؛ "فإن كان عاملا مثلا احتفظ على جزء من أجرته وإن كان فلاحا احتفظ على جزء من غلّة أرضه...وتجنّب التبذير الذي هو صرف المال في غير موضعه ... ومما يؤسف عليه أن كثيرين لا يوفرون شيئا من أجرة أراضيهم ليكون لهم في المستقبل مال يساعدهم على اصلاح تلك الأراضي وزيادة غلّتها، أو شراء أراضي غيرها والانتفاع بخيراتها ... "(طيبة، 1912).

يتبين مما سبق في نظرنا أنّ صاحب النّص رغم حديثه عن العقل واستدلاله بأفلاطون ونحو ذلك إلاّ أنّنا لمسنا بعض من العاطفة في التعاطي مع مختلف المواضيع المُتطرّق إليها، وهو ما يجعل جزء كبير مّما أورده غير قابل للتجسيد ميدانيا بسبب الظروف القاسية التي كان يعيش في كنفها السّواد الأعظم من الجزائريين طيلة الفترة الاستعمارية بشكل عام.

إن التعقيبات التي أوردناها هنا وهناك هي مستوحاة من معطيات تناقلتها الكثير من الكتابات الجزائرية وحتّى الأجنبية عن الأوضاع المزرية التي آل إليها المجتمع الجزائري بشكل عام نتيجة الاستعمار الفرنسي للبلاد، وقد توصف بالقاسية، لكن من المنظور النّظري وفّق صاحب الوثيقة توفيقا منقطع النظير في تحسّسه لمختلف المعضلات وتشخيصه لجل الآفات والمعوقات التي كانت تنخر المجتمع الجزائري خلال الفترة التي عايشها صاحب النّص، وإن كان قد غفل أو تغافل عن السبب الرئيس لكل تلك المآسي والمآخذ والأوضاع، فإنّنا نجزم بأنّ المتسبّب في جل ذلك هو الاستعمار البغيض.

7.3. تربية النشأ:

في الأخير ختم صاحب الرّسالة موضوعه بخلاصة قيّمة وثمينة، زادت من متانة رسالته ومن عمقها وبعدها، وأفسحت عن رحابة أفقه وبعد نظره واتضاح رؤيته، حيث تناول فيها تربية النشأ، حيث كتب في مستهلّها: " ولمّا كان القصد من وضع هذه العجالة تحريض المسلمين خصوصا الجزائريين على استجلاب ما يضمن السّعادة في المستقبل رأيت أنّ أهم الوسائل المبلغة إلى هذا الغرض البعيد هي حسن تربية البنين؛ لأنّ أبناء الحاضر هم رجال المستقبل..." (طيبة، 1912).

أشار صاحب النصّ في هذا الشأن إلى التركيز على الأدب وتعلُّم محاسن الأخلاق وعلى طاعة الوالدين واحترام المعلّمين والمؤدّبين والأساتذة، واحترام كبار السنّ ...لتلافي نشوئهم بأخلاق سيئة تدفعهم إلى الاستهانة وارتكاب الجرائر(الآثام)".

أوصى محمد بن طيبة بالصّبر على الأولاد واشباع فضولهم وميلهم الشديد للاستطلاع والاستقصاء بإجابتهم عن كل أسئلتهم، لأنّ الاحجام عن ذلك قد يضطرهم إلى الاستفسار من الغرباء، وهو ما لا يؤمن عن اجابتهم التي قد تصعب عليهم أو قد تكون بعيدة عمّا تُحلّه عقيدتهم. كما أن اجابتهم عن أسئلتهم تمهّد للأولياء فرصة المراقبة على ما يدور بخاطرهم من الأفكار، فيُقوّمون المعوجّ منها أو يصلحون الفاسد".

وكأنّنا بصاحب النّص هنا يوصي بعدم ترك الأطفال إلى المسيحيين (الفرنسيين) يحشوا عقولهم بما لا يحلّ وما لا يليق وما لا ينفع، وهو ما يدلّ كذلك على أنّ إعجاب الكاتب بالأوربيين بشكل عام كان في الفلاحة ومختلف الصنائع فحسب، لكن فيما يتعلّق بالعقيدة وتربية النشأ كان التخوّف من الفرنسيين المسيحيين لا يزال ثابتا حتى مع بداية العقد الثاني من القرن العشرين.

كان صاحب الوثيقة التي بين أيدينا واضحا، حيث قال مخاطبا الوالدين؛ " وليهتما بشؤونه (الطفل) ويحبّبانه الدروس العربية والفرنسية حتّى يتمهّر فيهما، كما يجب المداومة بقريحة على هذه الدّروس" ثم يستطرد ويقول مجيبا ربّما على بعض ما قد يسيئون فهم قصده: " إذ بتمهُّره في العربية تتمهّد له الطريق لمعرفة دينه القائم على أحكام شرعية وأخلاقية ومواعظ حسنة وغير ذلك" ويقول عن الفرنسية التي رأى بوجوب المداومة على دراستها: " وبقهره للفرنسية تزيد أخلاقه تهذيبا وتتّسع دائرة أنظاره وينفتح له باب الاستطلاع على غوامض العجائب العصرية، ومن تبريراته لذلك بالإضافة إلى ما ذكر بشأن الأهداف العملية من تعلُّم الفرنسية قوله: " وكيف لا تجب عليه معرفة الفرنسية ونحن والفرنسيين جيران دار بدار، وجلّ المعاملات متبادلة بيننا وبينهم، كما لا يخفى فمن لم يدركها تتعطّل حقّا الكثير من مصالحه إن لم أقل الكل" (طيبة، 1912). لقد اعتبر بن طيبة الفرنسية وسيلة لتحقيق غايات، وليست غاية بحدّ ذاتها.

EISSN: 2602-781X——ISSN: 2253-0347

فدفاعه عن العربية ينمّ عن ثقافته العربية الاسلامية الراسخة، أمّا دعوته لتعلُّم الفرنسية فيفصح عن براغماتية الكاتب الصرفة والخالصة.

4. خاتمة:

ما نقوله عن صاحب الوثيقة أوّلا، هو كونه ذا ثقافة غزيرة تنمّ عن علوّ كعبه بين الجزائريين في زمانه؛ فهو ذا دراية كبيرة بأمور الدين، ونستشفّ ذلك من استدلاله بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، علاوة على اعتماده على أقوال مأثورة لصحابة رسول الله كعمر بين الخطاب، وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان.

كما أن ثقافته ودرايته شملت أيضا مختلف العلوم كالاقتصاد وعلم النّفس وعلم الاجتماع وعلوم التربية والفلسفة؛ لأنه أورد في رسالته مجموعة من الأسماء كأفلاطون ولقمان الحكيم والمتنبّي وآخرون. إنّ هذه الغزارة في المعارف في زمن كانت الكتب فيه شحيحة ولا ريب، والأخبار العلمية قليلة تفصح عن تفرّغ الكاتب للقراءة والتقصّي، وهو ما يعني أنّه كان من ميسوري الحال على خلاف السّواد الأعظم من الجزائريين خلال بداية العشرية الثانية من القرن العشرين، كما تبرز ثقافته العربية الإسلامية المتينة والرّصينة، وكذا عن مستوى راق في التحليل والاستدلال بمنهجية علمية أكاديمية.

ولعلّ هذه الفئة من المثقفين الجزائريين خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى (1912)، تجسّد بداية التحوّل (مرحلة انتقالية) بين مرحلة التغييب الاستعماري للوعي الوطني، إلى المرحلة اللاحقة التي تبلور فيها ذلك الوعي شيئا فشيئا إلى أن وصل إلى المستوى الذي يعرفه المختصون والباحثون والدارسون.

كما أن المقاربة التي تناولها صاحب النص لتحقيق النماء والاتحاد مقاربة راقية ومتحضّرة جدا؛ بحيث استهدفت ما يمس الانسان بشكل مباشر في عمله ومسكنه ومأكله كمنطلق لتحقيق مآرب وغايات نبيلة تخصّ الجزائريين دون سواهم عبر دعوتهم إلى الاتحاد فيما بينهم ككتلة مختلفة ومتباينة عن الأوربيين.

يتضح لنا أيضا حب صاحب محمد بن طيبة للجزائريين ورغبته الملحّة في تغيير واقعهم الذي تناهوا إليه بفعل السياسات الاستعمارية المختلفة. (التعبير عن الوطنية المغمورة بالفكر الاستعماري الخبيث والبرامج التعليمية المضلّلة والمزيّفة للحقائق.

كما تجسّد هذه الوثيقة (الرسالة) البدايات الأولى لتبلور الوعي الوطني أو الوطنية ونحن في مطلع سنة 1912، شهور قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، ولكن في شكل غير متعوّد عليه، أو في نموذج كنّا نسمع عنه نظريا فحسب. والمقصود بذلك أن الاستراتيجيات الاستعمارية القائمة على الطمس والتهميش وغرس قيّم ومفاهيم ومعطيات استعمارية على مدى عقود، أوجدت أجيالا اعتقدت بشكل راسخ بأنّ الجزائر هي فعلا فرنسية، وذلك باحترافية وخبث إلى درجة أن المثقفين من الجزائريين خلال الفترة المعنية بالدراسة لم يختلج بفكرهم وذهنهم أن الجزائر هي شيء آخر. رغم أنّ صاحب الوثيقة سمّى الجزائريون بالجزائريين، وسمى الأوربيون بالأوربيين، مباعدا بينهما في الثقافة والتمدُّن ومختلف الطقوس وغيرها، لكن دون أن يفصل بينهما في الجغرافية إلاّ عرضا.

رغم كون صاحب الوثيقة قاضي ابن قاضي، وهو بذلك متعاون مع الإدارة الاستعمارية بشكل من الأشكال، إلاّ أنّه بصرف النظر عن ذلك، هو، بنظرنا، مثقف جزائري تفنّن في مراوغة المستعمر لعدم لفت انتباهه لتمرير رسائل جد هامة للمجتمع الجزائري بشكل عام، وللمثقفين منهم بشكل خاص، ولعلّ الغاية المتوخاة هي نشر الوعي (الوعي بالذات، الوعي بالواقع، الوعي بضرورة الاتحاد، الوعي بضرورة الإصلاح الشامل اقتصاديا واجتماعيا، وذلك بالاعتماد على الذات دون التعويل على الإدارة الاستعمارية.

لقد لمسنا ذلك في جملة من الإشارات: كعدم افراده لموضوع تربية النشأ في عنوان خاص وبارز كما فعل مع بقية العناوين التي تناولها، بل تناولها في شكل خلاصة، ربّما لتفادي لفت أنظار الإدارة الاستعمارية التي لم يغفل عن الإشادة بها ومدحها في كثير من المواقع، لأنّه لا يمكنه أن يقوم بغير ذلك بحكم منصبه ومنصب والده، بل بحكم السياق التاريخي العام سياسيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا. وممّا قاله بشأن ذلك المدح ما يلي:

في مقارنة بين الجزائريين والفرنسيين في العمل قال: "إنّ الأورباويين (كذا) المشمّرين على ساق الجد من أهل دولتنا الفخيمة فرنسا صانها الله" (طيبة، 1912).

وفي مقارنة منه بين الأوربيين والجزائريين في الحذاقة والمهارة واتقان الفلاحة والصناعة سمى الأوربيين (العناصر الأوربية غير الفرنسية) بالنُّزلاء حيث قال: " وقد أفلح النزلاء لأنهم لا يستعملون في الزراعة إلاّ الطرق الحديثة".

كما قال عن الفرنسيين واللغة الفرنسية: " لا ينهنا الله عن معرفة اللغة الفرانسوية (كذا) ولا عن مبرّة الفرانسويين " (كذا)، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: " لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ". (سورة الممتحنة، الآية 8).

إنّنا نرى في ذلك، مع مراعاة السياق التاريخي للوثيقة، بأنّ طيباوي محمد بن طيبة قد تضلّع في النيل من عصفورين بحجر واحد؛ حيث نراه قد برع في الثناء على الفرنسيين جامعا بين الاعتراف بسيادة الدولة الفرنسية على الجزائر، وفي ذات النّص سمّى بقية الأوربيين بالنزلاء، وهو ذات الرأي الذي كانت تقول به الادارة الاستعمارية، وهو اقرار على الأقل بنصف الحقيقة التاريخية، فهم كانوا فعلا نزلاء. ونصف الحقيقة التاريخية الأخرى التي تخصّ الفرنسيين، رغم تفنّن تلك الادارة الاستعمارية في اخفائها بتزييف الحقائق والتّاريخ، فإنّها ستكشف بعد مدّة من ذلك. ولعلّ العصفور الثاني هو شحذ همم وضمائر الجزائريين بنفس ذلك الثناء الذي كان لهؤلاء الغرباء جميعا؛ حيث أمدّهم بنصائح وارشادات ووصايا تصلح من وضعهم وترفع من شأنهم وتزيح الغبن عنهم أخلاقيا وماديا ومعرفيا على الأقل، كان من العسير لهم التمكُّن منها في تلك الفترة.

بوصولنا إلى هذه المرحلة من هذا البحث المتواضع، يحقّ لنا أن نطرح التساؤلات التالية:

هل يبرز المخطوط الصراع بين المنصب والامتيازات وبين صحوة الوجدان والعقل الجزائري لدى طيباوي محمد بن طيبة؟

أم تراها وثيقة لكسب ودّ فرنسا وعلامة ولاء ووفاء لها؟

أم تراها وثيقة من ايحاء الإدارة الاستعمارية ذاتها؟

أم ترى صاحبها كان ذا ضمير جزائري صرف، لكن بحكم كون والده قاضيا قبله قد انضوى تحت جناحه، بإيحاء أو بضغط منه؟

كان سعد الله أبو القاسم قد أشار إلى أنّ بعض القضاة خلال ثمانينيات القرن 19 أمثال المكّي بن باديس وابنه حميدة (جدّ عبد الحميد بن باديس) الذين دافعوا عن قضايا المسلمين، وآخرون خلال العقد التاسع من ذات القرن أمثال عبد القادر المجاوي والسعيد بن شتّاح ومحمد بن رحال ومحمد بن الحاج حمو وغيرهم الذين دافعوا عن القضاء الإسلامي وعن اللغة العربية[3]، وأن شيوخ الزواية التيجانية والدرقاوية والطيبية والشاذلية قد أسدوا نصائح "للأهالي" سنة 1914م (أبوالقاسم، 1988)، إلاّ أنّنا لمسنا بعض الجرأة وكثير من الصدق لدى طيباوي محمد بن طيبة في التعاطي مع مشاكل الجزائريين الدينية والمادية والثقافية لم نلمسها في غيره، في تلك المرحلة من التاريخ.

مهما كان من أمر فإنّ الوثيقة التي بين أيدينا احتوت بكل انصاف على معطيات تاريخية ذات قيمة ونفع معا ... وتبقى معرفة الوجهة التي كانت مخصّصة لها ذات أهمية قصوى؛ هل نشرت مثلا في جريدة استعمارية؟ ونحن نستبعد ذلك، هل وزّعت على بعض الجزائريين من العارفين والدارسين؟ لسنا ندري ذلك، رغم أن خاتمة الوثيقة توحي من خلال ما تضمنته من نصائح وارشادات تخص تربية النشأ على المنهج الديني الصحيح وتدريسهم اللغة العربية الضرورية لذلك، إلى جانب الفرنسية، بأن الخطاب وصل إلى المُخاطب فعلا، وإلاّ فما الجدوى من هذه الوثيقة إذا. وإن كان ذلك حصل فعلا؛ فهو إذا إقرار بأن الوعي بالمجتمع الجزائري حصل فعلا، في انتظار وعي آخر (وطني) ركيزته الأساسية المجتمع الواعي؛ المدرك للغته ودينه وثقافته.

إنّ الوعي الوطني في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية لم يبزغ فجأة من عدم، وإنّما تطوّر من وعي بالمجتمع قبل الحرب العالمية الأولى إلى وعي بالوطن بعدها. وهذا الوعي الأوّل كان ثمرة اجتماع مجموعة من العوامل ذات الصلة بمختلف المعارف الدينية والدنيوية. أما الوعي بالوطن فكان نتيجة النظرة إلى الوطن من الخارج في البداية، على إثر المشاركة في الحرب العالمية الأولى بشكل أو بآخر. كما أنّ النظرة إلى الوطن من الخارج ومعاشرة الغير والتفاعل معه، مع توفّر رصيد من المعارف ذات الصلة بالانتماء الديني والاجتماعي أسفرت عن ذلك الوعي المبارك الجديد (الوطني)، الذي تناقلته الأوراق والأفواه بعد ذلك

EISSN: 2602-781X——ISSN: 2253-0347

في الجزائر إلى الأجيال، حيث نمى وتطوّر إلى أن انتهى ببلوغ الغاية الأسمى (الاستقلال) بعد تضحيات باهظة.

5. قائمة المصادر :

1. طيباوي محمد بن طيبة،(1912)، الحاجة إلى الاقتصاد والاتحاد، مخطوط. ANOM. G.G.A, 10H/98.

2. Journal des Débats, du 22/10/1927.
3. L'Echo d'Alger, du 11/04/1929.
4. L'Echo d'Alger, du 11/04/1930.

5. قائمة المراجع :

5. أبو القاسم سعد الله، (1988) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

6. أبو القاسم سعد الله، (1988) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

ملاحق:

الصفحة الأولى من المخطوط



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي أكرمنا بالعقل لنسلك سبيل المهتدين
وأرشدنا إلى ما به يسعد حالنا في الدارين وصلى الله على سيدنا محمد ذي
العز المتين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما
بعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه الغني الحميد قيباوي محمد
بن طيبة بن أحمد ابن محمد المكيباذا أصلا إنني لما رأيت السواد الأعظم من إخواننا
مسلمي الجزائرية أصبحوا من فساد الرأي وضياع الحزم يتخبطون في هاوية
التقهقر ويتقلبون على فراش التأخر لا أرب لهم سوى القعود ولا لذة لهم إلا
من الجمود كأن النار في عدوهم والانحطاط حليفهم حرفتهم التوكل بلا عمل وشيمتهم
التجامع وفقدان الأمل غافلين عما جاء في الدين من الحث على العلم والعمل ضالين
عن منهج الأوائل ذلك المنهج المستقيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
بادرت بسبب ذلك إلى وضع هذه الرسالة التي سميتها
حاجة العباد إلى الاقتصاد والاتحاد جمعت فيها ما يحرك شعورهم إن
شاء الله ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم علهم يقلعون عما ألفوه من العوائد
المكسدة والأخلاق المفسدة فأرجو من الواقف عليها أن يسمح لي فيما عسى
أن يبدو مني فيها من الهفوات ويتوخى في حقي جانب المعذرة وإن كثرت
العثرات لأني وإن تعديت طوري معترف بالعجز عن القيام بمثل هذه الإرشادات

وإنما

EISSN: 2602-781X ــــــــــــــــــــــــــــ ISSN: 2253-0347

الصفحة 23 والأخيرة من المخطوط

